الوفـود والسـفارات
في الجاهليـة وعصر الرسول (ص)

د. نبيـه عاقـل

آ ـ الوفود والسفارات قبل الاسلام :

يقول ابن منظور في « لسان العرب » في باب « سفر » ما نصه : « .. سَفَرتُ بين القوم أَسفِر سفارة أي كشفتُ ما في قلب هذا وقلب هذا لاصلح بينهم .. والسفير : الرسول والمصلح بين القوم ، والجمع سفراء ، وقد سَفَرَ بينهم يَسْفِرُ سَفْراً وسِفارة وسَفَارة : أصلح .

وفي حديث علي أنه قال لعثمان : ان الناس قد استسفروني بينك وبينهم أي جعلوني سفيراً ، وهو الرسول المصلح بين القوم . يقال : سفرت بين القوم اذا سعيت بينهم في الاصلاح . ».

وعندنا ان هذا التعريف « للسفارة » الذي ينطوي على السعي بالصلح بين فريقين متخاصمين ينطبق بشكل أمثل على ما كان يحدث قبل الاسلام من قيام بعض الرجال من ذوي الجاه والمكانة في قومهم بالمسير بين قبيلتين أو جماعتين استشرت الخصومة بينهما ووقعت بينهما الدماء ، فقام بعض ذوي الحكمة والتعقل وسعوا لوضع حد لهذا الحال المفجع ولحقن الدماء .. ويبدو أن نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين في الجزيرة العربية كانت فترة اتسمت بالصراع الدموي بين القبائل بسبب عوامل عديدة قد يكون من بينها شح الارض بالقوت والماء والكلأ ، فلا يجدون الا الغارة على جيرانهم وسيلة للقيام بأودهم وأود أولادهم ، وأدى ذلك الى كثرة الحروب ، وما تستتبعه هذه الحروب من ثارات ، وما يترتب على الثارات من معارك جديدة . هذا فضلا عن التنافس على السيادة والزعامة والجاه الذي جر الى الكثير من الحروب وأُريقت في سبيله الدماء الغزيرة . ولا أظن أن حديث داحس والغبراء بين عبس وذبيان سوى مظهر من مظاهر هذا التنافس والصلف الجاهلي المقيت الذي أدى الى ازهاق العديد من الارواح البريئة ، فعبس وذبيان ، كما هو معلوم ، أولاد عم ينتمون الى غطفان ويعيشون متجاورين ، وتربطهم روابط الود والاخاء ، وقد ظل حالهم كذلك حتى اشتعلت الحرب بينهم بسبب المراهنة بين سيد عبس ، قيس بن زهير ، وسيد فزارة من ذبيان . حذيفة بن بدر ، أثناء سباق

بين فرس الاول المسمى داحس ، وحجر الثاني المسمى الغبراء . فقد نصب جماعة حذيفة كمينا ليردوا داحسا عن الغاية فتسبق الغبراء . وحين تم الذي خطط لـه حذيفة وطالب بالرهان البالغ مائة ناقة ، رفض قيس وأصر ان فرسه كان السابق فنشبت الحرب التي عرفت باسم حرب داحس والغبراء أو حـرب السـباق التي استمرت أربعين سنة واستقطبت تحالفات قبلية جديدة ، وكان من أبطالها الفارس المشهور عنترة بن شداد ، وقد دفعت ويلات هذه الحرب سيدين من ذوي الشهامة والمروءة للتوسط بالصلح بين عبس وذبيان ، وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذان خصهما الشاعر زهير بن ابي سلمى بمعلقته الشهيرة ، التي يقول في مطلعها:

أمــن أم أوفــى دمنــة لم تكلــم

بحومانــة الــدراج فالمتثلــم

وفيها مديح للسيدين الذين سـعيا بالصلـح .. وموعظة للكف عـن الأحقاد وسفك الدماء .

ان ما قام به هـرم بن سنان والحارث بن عوف هـو ما ينطبق عليه تعريـف « السفارة » الذي نقلناه عن ابن منظور في مطلع هـذا البحث . على أن الذي نقصد معالجته في هذه الدراسـة هو غير ذلك ، ويهدف الى التعريف بالسـفارة بمعناها الدبلوماسي الحديث ، أي البعثة ذات الصفـة الرسمية التي تقـوم سلطة مسؤولة بايفادها لاداء مهمة معينة في دولة أخرى . وإذا صح هذا التعريف على الفترة التي تبدأ منذ أن أقام الرسول الكريـم صلوات الله عليه الحكومـة الاسلاميـة الاولى في المدينة المنورة وحتى عصرنا الحاضر . فان فترة ما قبل الاسلام حـين كان مجتمع الجزيرة العربية يعيش حياة البداوة عرفت هذا النوع من المهمة . ولكن تحت اسـم آخر هـو « الوفـود » .

ولا بد لفهم قضية « الوفود » التي كانت جـزءاً من الصلات بـين الجماعات القبلية قبل الإسلام أن نذكر ان الضرورات التي دعت الى قيام هذه الصلات تنبع من واقع الجزيرة العربية السياسي في تاريخها السابق لظهور الرسول الكريم . حين كانت السلطة السياسية مفقودة ولا تقوم على أرضها حكومات مسؤولة تجمع شتات هذه القبائل وتوحد حركتها وتوجهها الوجهة السليمة التي تخدم الصالـح العام . فكان لابد أن تقوم أعراف وتنظيمات تنبع من واقع الجزيرة ويكـون هدفها تنظيم الصلات بين الجماعات القبلية المختلفة . ويمكن حصر الصلات التي قامت بين القبائل في الجزيرة العربية قبل الاسلام في أربع زمر هي : الحلف ، والمسانـدة ، والموادعـة والوفود . وتتشابه عمليات التحالف والمساندة من حيـث أنها عقـد وتحالف بين

جماعات قبلية مختلفة لأجل محدود أو غير محدود ، لتنفيذ عملية واحدة أو عـدة عمليات في ميدان الحرب أو غيره من ميادين العلاقات العامة التي تنتظم حياة الناس في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، اما الموادعة فهي معاهدة سلم تفرض على الاطـراف الداخلة فيها عدم القيام بأي اعتداء على بعضها أو الإخلال بالعهـد الذي قطعته على نفسها باحترام القبائل الداخلة في عقد الموادعة معها . وعلى المتوادعين أن يكفوا عن التفاخر والتغني بأمجادهم ، كما عليهم أن يمتنعوا عن القتال . فالتحالف والمساندة والموادعة اذن ، تتصل ، بشكل أو بآخر ، بما ينشأ بـين القبائل من قتال أو سلم بعد هذا القتال ، وهي بهذا تختلف عن « الوفود » وهي المظهر الرابع للصلات بين الجماعات القبلية قبل الإسـلام .

إن عادة إرسال الوفود عادة عربية قديمة ، وتتلخص في أن ترسل قبيلة وفودها الى قبيلة اخرى حين يحدث حادث أو يحل أمر جلل. وكمثال على المناسبات التي توفد فيها القبيلة الوفود الى قبيلة اخرى يمكننا أن نذكر ان انتصار قبيلة نصراً مؤزراً على غيرها هو من المناسبات التي تغتنمها القبائل الاخرى لترسل إليها وفودها مهنئـة ومطنبة بفعالها وما تم على يديها .

فمن هذا القبيل مثلا ، ارسال قريش وفداً الى اليمن لتهنئة سيف بن ذي يزن حين حقق نصره على الأحباش . فقد ساء بعض أهل اليمن ، كما هو معلوم ، احتلال الاحباش لارضهم ، فاستنجدوا بالدولة الساسانية التي كان بينها وبين الامبراطورية البيزنطية عداء شديد . فانجدهم كسرى انو شروان بقوة ابحرت من الخليج العربي ونزلت جنوب اليمن واستطاعت أن تطرد الأحباش منها . وبذلك تحررت اليمن من حكم الأحباش وعين سيف بن ذي يزن حاكماً عليها . لقد اعتبرت قريش ان هذا النصر من الأمور العظيمة التي تستوجب التهنئة فأوفدت رجالها للقيام بهذه المهمة ،وتعتبر هذه البعثة القرشية من أهم السفارات التي أوفدتها قريـش في فتـرة ازدهارها الاقتصادي ورفعة مكانتها الدولية التي نجمت عن هذا الازدهار . فقد كان من المهم بالنسبة للمكيين الذين تحتل التجارة مكانة بارزة في حياتهم العامة ان تقوم بينهم وبين السلطة السياسية في اليمن ، الموقع الرئيس على طريق التجارة الدولية آنذاك ،أطيب الصلات حتى يضمنوا استمرار مسير قوافلهم . ولا بد بمناسـبة كبرى كمناسبة زوال الحكم الحبشي الذي هدد مقدساتهم الدينية حين حاول ابرهة ضرب الكعبة واحتلال مكة ، وسعى ما وسعه السعي لاكساد تجارتهم واهلاك أموالهم عن طريـق استلاب السيطرة على الطريق التجارية منهم . نقول ، لا بد بمناسبة كبرى كهذه من ان يوفدوا وفودهم مهنئين بخلاص اليمن من الحكم الحبشي.

وكان استقبال الوفود من واجبات رئيس القبيلة ، وعليه ان يستمع الى خطباء

هذه الوفود وشعرائها وان يرد عليها بالشكر والصلات . وفي المصادر أخبار كثيرة عن الوفود التي كانت تقصد بلاط الملوك اللخميين في الحيرة وبلاط الغساسنة في الشام، وعن الصلات والهدايا والاموال التي كانوا يعـودون بها ، بعـد ان تكرم وفادتهـم وتستجاب المطالب التي وفدوا من أجلها . وكان قدوم الوفود على سيد أو ملك دليلا على مكانته البارزة ورتبته الرفيعة . يقول الطبري في الحديث عن عمرو بن عدي ، الملك الحيري الشهير ، أنه كان « منفرداً بملكه ، مستبداً بأمره ، يغزو المغـازي ، ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود دهره الاطول ». وكما كانت القبيلة توفد وفودها الى القبائل الاخرى وبلاطات الملوك العرب، فقد كانت الممالكالعربية قبل الاسلام توفد وفودها الى الدول الاجنبية حين تقتضي الضرورة ذلك .

ومن هذا النوع من السفارات السفارة التي أوفدها الملك الحيري عمرو بن هند (٥٥٤ ـ ٥٧٤ م) الى الامبراطور البيزنطي جوستين الثاني ، اذ تذكر المصادر أثنـاء بحثها للعلاقات بين مملكة المناذرة ومملكة الغساسنة زمـن عمرو بن هنـد الحيري والحارث بن جبلة الغساني ان أشهر غزوات عمرو ضد عرب الشام الغساسنة كانت سنة ٥٦٣ م . وتتلخص الاسباب التي دعته الى القيام بهذه الغزوة بأنه في الصلح الذي عقد بين الفرس والروم البزنطيين سنة ٥٦٢ اشـترط الفرس على الـروم أن يدفعوا لعرب العراق جزية سنوية مقابل سكوتهم عن مهاجمة عرب الشام الخاضعـين للبيزنطيين . ولكن الروم رفضوا أن يدفعوا ما اتفقوا عليه ، فطلب عمرو من الفرس ان يساعدوه في غزو الشام ، ولكنهم تمهلوا وتباطأوا في الرد عليه ، فما كان منه إلا أن هاجم الغسـاسنة ، واعادة الكرة سنة ٥٦٦ و ٥٦٧ . وكان قائد جيوشه في هاتـين الغارتين الاخيرتين أخوه قابوس . والسبب الذي يقدمه المؤرخون لغزوتي ٥٦٦ و ٥٦٧ هو أن عمرا أرسل رسولا الى الامبراطور البيزنطي جوستين الثاني لمفاوضته على دفع الاتاوة السنوية ، ولكن الامبراطور البيزنطي عاملهما معاملة سيئة ، فقـام قابوس بهاتين الغزوتين بناء على أمر أخيه ، انتقاماً لشرف المبعوثين الحيريين . وهكذا فقد كانت الدولة تحرض على كرامة مبعوثيها ولا تتردد في شن الحروب وسفك الدماء لرد اعتبارهم ، لأنهم يمثلون الدولة التي أوفدتهم واهانتهم اهانة لها .

ويمكن اعتبار سفر امرئ القيس بن حجر بن الحارث الى القسطنطينية أثناء سعيه الحثيث للاخذ بثأر أبيه حجر من بني أسد ، من السفارات الخارجيـة التي تمت بين الممالك العربية قبل الاسلام والدول الاجنبية ، وذلك لانها تمت بعد وساطة السموأل بن عادياء عنـد الحارث بن أبي شمر الغسـاني ليكون وسـيلة امرئ القيس الى الامبراطور البيزنطي جسـتنيان . وقـام الحارث بمراسلات مـع الامبراطور جستنيان انتهت بقرار أمرئ القيس أن يسافـر الى القسطنطينية حيث استقبل كمندوب عن الحارث بن ابي شمر ، وأنزل في قصر من قصور الامبراطور وعومل كما

يعامل المبعوثون الرسميون ، وقرر الامبراطور ان يرسل معه جيشا ينصره على بني أسد . ولكن حدث ما عكر صفو العلاقات بينه وبين جستنيان حين نمي الى هذا الاخير أن علاقة حب قامت بين امريء القيس وابنته ، وان امرأ القيس يأتيها وتأتيه . فامتلأت نفسه غيظا وعزم على الانتقام منه ، فبعث اليه بحلة وشي منسوجة بالذهب ولكنها مسمومة فلما لبسها اسرع السم في جسمه وسقط جلده ، فسمي بذي القروح ، ولما وصل الى أنقرة من بلاد الروم وهو في طريق عودته الى بلاده مات متأثرا بقروحه ودفن هناك . وقد اعتبر الحارث الغساني نفسه ولي امريء القيس وله الحق في ارثه وطالب السموأل بما كان أودعه امرؤ القيس عنده من دروع . فأبى السموأل تسليم ما بعهدته ودفع ثمن وفائه حياة ابنه فضرب بذلك المثل .

والى جانب هذا النوع من السفارات التي كانت تقوم بين الممالك العربية قبل الاسلام والدول الاجنبية ، كانت هناك وفود وسفارات تبعث بها قريش الى القبائل والممالك العربية داخل حدود الجزيرة ، والى الدولتين العظميين ، فارس وبيزنطة ، وذلك لامور تتعلق بتجارتها ، أو لعقد الايلافات والمعاهدات مع هذه القبائل أو الممالك لاغراض مماثلة وتذكر الروايات العربية أنه كانت لأولاد عبد مناف الأربعة علاقات تجارية مع مراكز التجارة الدولية آنذاك وكانوا موفدي قبيلتهم الى بعض هذه المراكز لعقد ايلافات وتحالفات بقصد تنظيم العمليات التجارية بين مكة وهذه البلدان من جهة ، ولضمان ابعاد أية منافسة للسيادة أو الاحتكار المكي للتجارة مع هذه البلدان من جهة ثانية ، فقد توجه عبد شمس الى الحبشة موفدا من قومه لعقد معاهدة تجارية مع الاحباش . واستطاع عبد شمس أن يحقق الهدف من بعثته وأن يقيم علاقات ود وصداقة مع هذه الدولة . وقام هاشم ببعثة مماثلة الى سورية وحققت بعثته لقومه نفس النتائج ، وكذلك فعل عبد المطلب مع اليمن ونوفل مع العراق ، وعادا بعد أن كللت مهمتهما بالنجاح .

ان المتفحص لهذه البعثات والوفود يجد أنها تمثل ما يمكن وصفه بالصلات الخارجية العربية والدولية بالنسبة للقبائل والدول العربية قبل الاسلام . وكانت على ما يتضح من الأمثلة القليلة التي قدمناها مظهرا من مظاهر سيادة القبيلة واثباتها لوجودها في المحيطين : المحلي والدولي . كما يمكن اعتبارها في كثير من الاحيان ضرورة لا بد منها لاستمرار وجودها السياسي والاقتصادي، أو لتثبيت سيادتها وضمان عدم الاعتداء عليها .

ويعتبر المبعوث ممثل قبيلته أو دولته ويتمتع بحرمة ورعاية من أوفد إليهم، ويعتبر إكرامه وحسن وفادته اكراماً للجهة التي أوفدته كما أن اهانته أو المس بكرامته مسا بكرامتها يقتضي منها الثأر لما لحق بها من عار . ويحدثنا المسعودي في كتابه

«مروج الذهب» عن قدوم عبد المطلب بن هاشم مع وفد من قومه على معديكرب بن سيف ابن ذي يزن مهنئاً بالملك ويقول: « وأتت معديكرب الوفود من العرب تهنيه بعود الملك اليه واشراف العرب وزعماؤها ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد شمس بن عبد مناف، وخويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو زمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقفي فدخلوا اليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان ، وهو مضمخ بالعنبر، وسواد المسك يلوح على مفرقه ، وسيفه بين يديه ، وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك وأبناء المقاول . فتكلمت الخطباء ، ونطقت الزعماء ، وقد تقدمهم عبد المطلب ابن هاشم ، فقال عبد المطلب : ان الله جل جلاله قد أحلك ، أيها الملك ، محلا رفيعاً، صعبا منيعا ، شامخا باذخا ..، فأنت ، أبيت اللعن ، رأس العرب وربيعها الـذي تخضب به ، وانت أيها الملك ، ذروة العرب الذي له تنقاد ..، أيها الملك ، نحن أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا، ونحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة . فقال له الملك : وأيهم انت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال الملك معد يكرب بن سيف : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال : ادنوه مني ، فأدني ، ثم أقبل عليه وعلى الوفد ، فقال لهم : مرحبا وأهلا، وناقة ورحلا ، ومستناخا سهلا ، يعطي عطاء جزلا ، قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل والنهار ، لكم الكرامة ما اقمتم ، والحباء إذا ظعنتم » . ولما انتهت مراسيم الاستقبال والضيافة ، وحان موعـد انصرافهم أعطاهم العطايا وحملهم ما يليق من هدايا ومتاع . ومعد يكرب في هـذا ، لا يكرم أشخاصهم فحسب ، بل يكرم الجهة التي جاؤوا يمثلونها . وبالمقابل ، فان اهانـة الوفد اهانة للجهة الموفدة وتقتضي الثأر لرد الاعتبار . وكان لبعض ملـوك الفرس تراجمة من العرب يكونون الى جانبهم أثناء استقبالهم الوفود العربية التي تأتي الى بلاطاتهم . فمن المعروف مثلا أن عدي بن زيد العبادي كان ترجمان كسرى ابرويز يترجم له اذا وفد عليه زعماء العرب ، فلما قتل عدي على يد النعمان بن المنذر خلفه في هذا المنصب في بلاط ابرويز زيد بن عدي ، الامر الذي يؤخذ منه اهتمام الاكاسرة بهذه الوفود وتهيئة الاختصاصيين لاستقبالها واقامة الحوار معها .

ولعل أهم هذه الوفود وأكثرها خطراً كانت تلك التي تقوم بمفاوضات لعقـد الايلافات أو المعاهدات التجارية مع الدول الاجنبية ، ويسمى ابن حبيب السكري ، صاحب « المحبر » رجالات هذه الوفود بـ « أصحاب الايلاف » ويقول عنهم[3] انهم : « من قريش الذين رفع الله بهم قريشاً ونعش فقراءها » . وهم : هاشم ، وعبـد شمس والمطلب ونوفل ، بنو عبد مناف . وكان متجر هاشم الى الشام ، ومتجـر عبد شمس الى الحبشة ، ومتجر المطلب الى اليمن ، ومتجر نوفل الى العراق .

وفي الحديث عن الاسلوب الذي اتبعه هاشم حتى توصل لعقـد الايلاف مـع

قيصر ، يذكر اليعقوبي ان تجارة قريش كانت لا تعدو مكة ، فكانوا في ضيق « حتى ركب هاشم الى الشام ، فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويضع جفنة بين يديه ، ويدعو من حواليه . وكان من أحسن الناس وأجملهم ، فذكر لقيصر ، فأرسل اليه ، فلما رآه وسمع كلامه ، أعجبه وجعل يرسل اليه ، فقال هاشم : أيها الملك ، ان لي قوماً ، وهم تجار العرب ، فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجاراتهم حتى يأتوا بما يستطرف من ادم الحجاز وثيابه ، ففعل قيصر ذلك ، وانصرف هاشم ، فجعل كلما مر بحي من العرب أخذ من أشرافهم الايلاف أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم ، فأخذوا الايلاف من مكة والشام » . وفي هذا الحديث ما يفصح عن الاسلوب اللبق الذي استخدمه هاشم ليجلب اليه أنظار قيصر حتى استدعاه اليه ، فحدثه بالمهمة التي جاء من أجلها وما يهدف اليه من قدومه الى بلاد الشام ، فتكللت مساعيه بالنجاح وعاد الى بلده بعد أن منحه قيصر ما أراد من عهد ، ولم يكتف بذلك بل التفت الى تنظيم علاقات قوافل قومه بالقبائل التي تنزل الطريق بين مكة والشام فعقد معها الايلاف ليضمن الامن للقوافل المكية في حلها وترحالها ، وهو ليس بالامر السهل اليسير . وقد كان ما أنجزه هاشم في سفارته هذه من الأهمية لقومه لدرجة أنه حين مات « جزعت قريش وخافت أن تغلبها العرب » فهب عبد شمس الى نجاشي الحبشة ليجدد العهد بينه وبينه ، وخرج نوفل الى العراق ليأخذ عهداً من كسرى، حتى تحكم قريش الطوق وتضمن السلامة والأمن لقوافلها في جميع الأسواق المجاورة . وفي هذا المثل ما يكفي لايضاح الاهمية التي كانت توليها القبائل لهذا النوع من السفارات في أمور معاشها ودنياها ، الأمر الذي يعتمد اعتماداً رئيسياً على براعة المسؤول عن السفارة وحنكته ومعرفته بسياسة الأمور .

وطبيعي أن تكون هذه الوفود والسفارات منسجمة وواقع المجتمع العربي قبل الاسلام وحاجاته وأعرافه وتقاليده والغايات التي ترجى منها ، وطبيعي أيضاً أن تتغير هذه الصورة بعد قيام الاسلام حين تغيرت أهداف المجتمع وطبيعته والمثل التي تنتظم حياة الناس الذين يعيشون في ظله .

ب ـ الوفود والسفارات في عصر الرسول (ص) :

معلوم أنه حين تنزل الاسلام على قلب الرسول الكريم (ص) ، فشا ذكره بمكة وتحدث عنه الناس ، وأخذ بعضهم يدخل فيه ، وبعد أن مضى على مبعث محمد صلوات الله عليه ثلاث سنين أمر الله عز وجل نبيه أن يصدع بما جاءه منه وأن يدعو الناس بدعوة الإسلام . وكان الرسول قبل ذلك ، أي خلال السنوات الثلاث الأولى من مبعثه ، يدعو الى الله في السر ، وقد جاءه الأمر بعلنية الدعوة في الآية الكريمة « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » ، وفي قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين . . ».

فما كان من الرسول الكريم إلا أن نقل دعوته من مرحلة السـر الى مرحلة العلـن . وكانت القلة التي آمنت بالرسول في الفترة السرية تمارس شعائرها الدينية في الخفاء وبمنأى عن أعين قريش . ويذكر المؤرخون أن قريشاً لم تعلن العداء الجدي لمحمد في بداية مرحلة الدعوة العلنية ، وانها لم تفعل ذلك إلا حين عاب آلهتها وذكرها بسوء ، فحينئذ وقفت قريش ضده وأعلنت عليه الحرب العوان في كل مجال . ويشرح لنا عروة ابن الزبير هذا الأمر في رسالة يقال انه بعث بها الى عبد الملك بن مروان رداً على رسالة من عبد الملك يستفسر منه عن قضايا تتعلق بفترة صدر الإسلام . ومما قاله عروة في هذه الرسالة التي ينقلها لنا الطبري : « أما بعد ، فانه « يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم » لما دعا قومه لما بعثه الله من الهدى والنور الذي أنزل عليه ، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ، حتى ذكر طواغيتهم . وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكروا ذلك عليه ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال لهم ، وأغروا به من اطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس ، فتركـوه إلا من حفظ الله منهم ، وهـم قليل » . ولسنا هنا في مجال مناقشة أسباب ودوافع المعارضـة القرشية للرسول الكريم (ص) ، كما أننا لا ننوي استقصاء المظاهر المادية والمعنوية الفظيعة لهذهالمعارضة، لانها ليست مجال بحثنا ، ولكنا نود القول أن هذه الحال اقتضت من الرسول تحركاً على الصعيدين الداخلي والخارجي للدفاع عن الدعوة من جهة ، وللابقاء على عزيمة من أسلم والحفاظ على حياته ولاكتساب أنصار جدد لصفوف الدعوة من جهة أخرى. وكل هذا يوصلنا الى موضوع الوفود والسفارات في عهد الرسول الكريم .

طبيعي أن تكون محاولات الرسول (ص) الاولى لرد هذه الهجمـة التي تعرض لها من قومه منصبة على تقوية صفه الداخلي واستنفار القوى المؤيدة لـه لتقف الى جانبه في هذه المحنة . وقد استغل الرسول هذا الجانب أحسن اسـتغلال ففشلت محاولات القرشيين في شق الصف الهاشمي ، وعادوا من زيارتهم لعمه أبي طالب التي أرادوا من ورائها أن يسلبوه ما كان يمنحه عمه اياه من دعم وتأييد ، بخيبة أمل كبيرة. كما فشل أسلوبهم في المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية التي فرضوها على بني هاشم، وانتهى الامر بشق صحيفة المقاطعة وعودة بني هاشم الى دورهم ، بعد أن كلفتهـم المقاطعة ثمنا غاليا كان أفدحه وفاة أبي طالب عم النبي ، وخديجة بنت خويلد زوجـه وسنده القوي .

وتذكر المصادر أنهحين اشتد أذىقريشعلى المسلمين وخاف الرسول أن يؤدي هذا الى فتنتهم عن دينهم ، وهو لا يقدر ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه » . وقد استجاب لنصيحة الرسول الكريـم

هذه بعض المسلمين ، فخرجوا متسللين سرا حتى انتهوا الى الشعيبة (ميناء مكة) حيث ركبوا سفنا لبعض التجار حملتهم الى ارض الحبشة مقابل نصف دينار عن كل شخص.

وكانت هذه الهجرة في شهر رجب من السنة الخامسة لمبعث الرسول . ولما علمت قريش بأمر الهجرة ورأت أنهم امنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا بينهم أن يبعثوا الى النجاشي رجلين منهم جلدين ، ليرد من قبله من المسلمين . فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص ليقوما بهذه المهمة. وهذه السفارة هي أول سفارة عربية في الفترة التالية لنزول الاسلام على قلب الرسول الكريم . ويورد ابن هشام في سيرته وصفا دقيقا لأخبار هذه السفارة نقدمه فيما يلي : « قال ابن اسحق : حدثني محمد بن مسلم الزهري .. عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه الادم . فجمعوا له أدما كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما الى النجاشي هداياه ، ثم اسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي .. فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم : أنه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع ، لا نعرفه لا نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم ، فاذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم الينا .. » . وبعد أن أحكم الوفد القرشي المؤامرة مع البطارقة وكبار رجالات الدولة الحبشية ، قابل النجاشي وسلمه الهدايا وحدثه بحديث المسلمين اللاجئين اليه وطلب تسليمهم لاعادتهم الى قومهم . وكان رد النجاشي انه غير مستعد لتسليم اناس لجأوا اليه دون أن يسمع دفاعهم عن أنفسهم. وبعد حوار شرح فيه المسلمون اللاجئون الى النجاشي حالهم قبل نزول الاسلام على قلب الرسول الكريم وما آل اليه مجتمعهم نتيجة الفوضى والجهالة والظلم الاجتماعي الذي كان يحيق بالمحرومين بسبب استغلال المستغلين وتسلط طبقة كبار التجار وتفشي الربا والاقراض بالفوائد الفاحشة وما شابه . هذا فضلا عن عبادتهم للأوثان وتوقهم الى معرفة الله خالق الكون وفاطر السموات والأرض . كما بينوا له الانقلاب الذي أحدثه الاسلام في حياتهم بسيرة صاحبه وبالمبادىء التي دعا اليها وبالمثل التي

حث اتباعه على السير على هديها . ولما انتهوا من شرحهم هــذا بكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفته ، وقال لهم النجاشي : « ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » . والتفت الى المبعوثين القرشيين وقال لهما : « انطلقا، فلا والله لا اسلمهم اليكما ».

فشلت سفارة قريش هذه كما رأينا ، وعاد المبعوثان الى قومهما دون أن يحققا الهدف الذي بعثهما قومهما من أجله . وانتقل العمل الدبلوماسي بـين الفريقـين : القرشي والمسلم ، الى مرحلة جديدة ، هي مرحلة اكتساب الأنصار في الداخل . ومن أجل هذا كانت رحلة الرسول الكريم الى الطائف ، وحديثها معروف ، كما كان أمر « المقتسمين » الذي يمكن أن يدخل ضمن دراستنا هذه عن الوفـود والسفارات .

وحديث « المقتسمين »، كما يتضح مما يرد في القرآن الكريم يستفاد منه أنــه كانت هناك فئة من معارضي الرسول صلوات الله عليه تدعى « المقتسمون »، ورد ذكرها في قوله تعالى مخاطبا رسوله : « وقل اني أنا النذير المبين ، كما انزلنـا على المقتسمين ، الذين جعلوا القرآن عضين ، فوربك لنسألنهم أجمعين ». وتذكر كتب التفسير أن « المقتسمين » هم الذين اقتسموا طرق مكة فكانـوا يقفون فيها يصدون الناس عن الاسلام ، وقال بعضهم : في القرآن سحر ، وقال آخرون : فيه كهانة ، وقال بعضهم : انه من عمل شاعر . أما ابن حبيب في كتابه « المحبر » ، فيذكر أنهـم كانوا « سبعة عشر رجلا من قريش ، اقتسموا أعقاب مكة ، فكانوا اذا حضروا الموسم يصدون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيهم نزلت :« كما انزلنا على المقتسمين » . ويقول ابن حبيب ان الرسول حين علم بأمر المقتسمين أخذ يرســل شخصا من أصحابه يقف الى جانب الشخص الكافر الذي يصد الناس عن الدعــوة الى الاسلام ، فاذا أخذ المشترك يشتم الاسلام ورسوله ويتقول عليه الكذب ، ينبري الشخص المسلم للدفاع وتفنيد أكاذيب المشرك وبيان فضائل الاسلام وجهالة الشرك وعبادة الأوثان .

ان هذه العملية هي نوع من السفارة الاسلامية الى القبائل القادمة الى مكـة لأداء فريضة الحج ، للوقوف في وجه سفارة قرشية الى هذه القبائل تحاول صدها عن الاسلام بتشويهه والتقول عليل والاقلال من قدر نبيــه والافتراء على المبـادىء السامية التي يدعو اليها . وكانت عملية « المقتسمين » ردا قرشيا على مبادرة الرسول الكريم بعد عودته من الطائف بالاتصال بأفراد القبائل المختلفة التي تزور مكة أثنـاء موسم الحج وعرض دعوته عليها . ويذكر ابن اسحق أن أبا لهب كان يتبع الرسول في جولاته هذه ، فما يكاد يفرغ من شرح أصول الاسلام ويبين أهم تعاليمه ، حتى يقف أبو لهب فيقول للناس : « يابني فلان ، ان هذا انما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم ،.. الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه ».

ان عملية ارسال الوفود الى القبائل من جانب قريش أثناء موسم الحج ، والوفود الاسلامية المضادة الى هذه القبائل ، تمثل جانبا من المهام الجسام التي كانت تلقى على كاهل الوفود ، كما تمثل اعتماد القبائل للوفود كممثلين عنها في شرح وجهات نظرها فيما يعرض لها من أمور . ولعل أهم مجال ظهرت فيه أهمية الوفود في هذه الفترة هو المفاوضات التي أجراها الرسول الكريم مع وفد من أهل يثرب وأدت الى أكبر حدث في تاريخ الاسلام ، ألا وهو الهجرة الى المدينة التي كانت نقطة التحول الاساسية في تاريخ الدعوة الجديدة . وليس المهم في هذا البحث أن ندخل في تفاصيل المفاوضات بين الوفود اليثربية والوفد الاسلامي برئاسة الرسول الكريم في بيعتي العقبة الاولى والثانية والتي انتهت بالاتفاق على عقد البيعة وشروطها ، ولكن لا بد من الاشارة الى أن أسلوب التفاوض عن طريق الوفود كان السبيل التي اعتمدهاصلوات الله عليه في مسيرته من أجل تحقيق هدفه في اقامة دولة الاسلام واستقطاب العرب حوله . ويبدو لنا اعتماده هذا الأسلوب بشكل واضح بعد غزوة أحد ، اذ ظهر فشل المشركين جليا في تحقيق نصر حاسم على الرسول والاسلام بشكل عام ، ووجد أبو سفيان وصحبه أنفسهم في وضع حرج ما لم يقوموا بعمل حاسم ضد محمد (ص)، وانهم هالكون لا محالة . واعتمدت خطتهم الجديدة في محاربة الرسول على تأليب القبائل عليه بعد أن جمعوا من مكة كل قادر على حمل السلاح ، دون أن يوصلهم ذلك الى تحقيق نصر حاسم على المسلمين . فسارت وفودهم الى القبائل البدوية الكبيرة الضاربة في شرقي وشمال شرقي المدينة ليقنعوها بضعف محمد (ص) وصحبه ، ووعدها بالغنائم الكبيرة التي ستحصل عليها اذا ما ساهمت في العمليات العسكرية ضده . وقد توجهت الوفود القرشية هذه الى قبائل سليم وغطفان وبني ضمره وغيرهم من أجل هذا الهدف . وكان الرسول بالمقابل يتابع تحركات هذه الوفود ومقاصدها وأساليبها . وكانت سياسته بعد أحد وخلال السنتين التاليتين لهذه المعركة تهدف لمنع أي تحركات عدائية توجه ضد المدينة ، وذلك عن طريق بث العيون والأرصاد حول عاصمته لإخباره بكل التحركات الدعائية المكية لمواجهتها بتحركات مضادة ، من جهة أخرى . وكان الرسول أيضا يستقبل وفود القبائل التي أخذ ذكره يفشو بينها فتود أن تتعرف عليه وعلى دعوته عن قرب ، ويقوم هو بالمقابل بارسال الوفود اليها ليسمعها كلمة الاسلام . ومن هذا القبيل كان استقباله لعامر بن مالك بن جعفر أبي البراء الملقب بملاعب الاسنة ، أحد سادة بني عامر . وحديث هذه الزيارة والوفد الذي أرسله الرسول الى العامريين كما يرويه لنا ابن سعد في « طبقاته » ، والواقدي في « مغازيه » ، وابن هشام في « سيرته » ، يتلخص في أنه في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من هجرة الرسول الى المدينة قدم على محمد (ص) ، عامر بن مالك هذا ، وأهداه فرسين وراحلتين فرفض الرسول(ص) قبول هذه الهدية ، وقال له : لا أقبل هدية مشرك . وعرض عليه الاسلام ، فرفض بسبب مركزه في قومه ، ولكنه أظهر ودا

وعطفاً على الإسلام ، وقال للرسول : يا محمد ، اني أرى أمرك هذا أمراً حسناً شريفاً، وقومي خلفي ، فلو أنك بعثت نفراً من أصحابك معي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك . فقال له الرسول : اني أخاف عليهم أهل نجد . فقال عامر : لا تخف عليهم ، أنا لهم جار ان يعرض لهم أحد من أهل نجد . وكان عامر ، كما أسلفنا ، من سادة بني عامر . فوافق الرسول على فكرته وندب أربعين رجلا من رجاله وعلى رأسهم المنذر بن عمرو الساعدي للذهاب الى نجد والدعوة فيها بدعوة الاسلام . وأعطى الرسول الى المنذر كتابا ليقرأه على أهل نجد ، وأمرهم بالسير لما ندبوا له . فخرجو حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم . فلما نزلوا ، بعثوا بكتاب رسول الله (ص) الى عامر بن الطفيل ، أحد رجالات بني عامر . فلما جاءه الكتاب ، لم ينظر فيه ، ووثب على رسول الوفد الاسلامي فقتله ، ثم استصرخ قومه العامريين للخروج معه لقتل بقية رجال الوفد الاسلامي . ولكن بني عامر رفضوا طلب ابن الطفيل وذلك لأن عامر بن مالك اخبرهم بأنه أجار المسلمين ، فأبوا أن يخفروا جوار سيد من ساداتهم . ولما أبت بنو عامر على عامر بن الطفيل استصرخ عليهم قبائل بني سليم فنفروا معه وأجابوه الى طلبه ، واعتدوا على الوفد الاسلامي وقتلوهم عن آخرهم ما عدا رجلين منهم هما عمرو بن أمية الضمري وكعب بن زيد . وعاد عمرو بن أمية الضمري الى المدينة ليخبر الرسول بما جرى لصحبه في بئر معونة . وفي طريقه اليها صادف رجلين من بني عامر ، كانا في زيارة للمدينة ولهما من رسول الله أمان ، فقتلهما انتقاما لأصحابه دون أن يعلم بأمان رسول الله لهما . ولما قدم ، وقص على الرسول قتله للعامريين أنبه الرسول لفعلته ، وقال له ، بئس ما صنعت، قد كان لهما مني أمان وجوار ، لأدينهما (أي علي دفع ديتهما) . وبعث الرسول فعلا بديتهما الى قومهما ، وعاملهما على أساس أنهما حرين مسلمين .

والذي يثير الانتباه في أمر العامريين القتيلين أن الرسول أرسل بديتهما الى أهلهما لأن لهما أمانا منه ، في حين أنه لم يطالب بدية ثمانية وثلاثين قتيلا من صحبه كان لهم أيضاً أمان من سيد عامري . ولعل الرسول أراد من ذلك أن يظهر للقبائل المختلفة احترامه لقضية الجوار والعقد وتمسكه به حتى ولو لم يتمسك بهما خصومه. ويوضح لنا هذا الحديث الذي تورده لنا المصادر عن وفد الرسول الى بني عامر ، انه في هذه المرحلة من مراحل العمل الدؤوب الذي كان يقوم به الرسول الكريم من أجل نشر الاسلام واقامة دولته ، كان يعتمد أسلوب استقبال الوفود وبعثها الى الجهات المختلفة أساسا في تحركه على الصعيد العربي ، ويوليه اهتماماً كبيراً ويقدم له من الضمانات والمبادىء الكريمة التي كانت تسود مجتمع الجزيرة من وفاء بالعهد واحترام للجوار واعتماد الحوار القائم على الاقناع أسلوبا للوصول الى التفاهم . حتى أنه حين عومل وفده معاملة تخلو من هذه المبادىء فتعرض افراده للقتل ، لم يشأ أن

يقابل الاساءة بالاساءة ، ودفع ديتي القتيلين العامريين لأنهما قتلا ولهما أمان منه ،رغم ان قاتلهما لم يكن يعرف بهذا الأمان ، وقتلهما ثأرا لإخوانه الذين كانـوا ضحية غـدر ولؤم يتنافيان مع كل أعراف الجوار واستقبال الوفود .

وتكرر حادث بئر معونة في مناسبة أخرى هي يوم الرجيع ، حين تعرض وفد اسلامي آخر أرسله الرسول الى قبائل عضل والقارة للدعوة للاسلام لغدر رجال من هاتين القبيلتين . ولم يفت هذا الحادث في عضد الرســـول واستمر في اعتمـاد أسلوب الوفود وسيلة لمحاوة قريش والقبائل الاخرى في سـبيل نشر دعوته وتحقيق أهدافه . ويتجلى هذا الاسلوب في حواره مع قبائل اليهود ، ولا سيما في غزوة الخندق اذ استطاع عن طريقه ايقاع الفرقة بين يهود بني قريظة وبين قريش ، فتهدمت عناصر المؤامرة واستطاع الصف المسلم ان يربح بصموده وبسالته والتكتيك الحربي الـذي اتبعه (الخندق الذي احاط به المدينة) ، أن يحول المعركة لصالحه ويربحها .

ويبدو اعتماد الرسول أسلوب الوفود أيضا في الازمـة التي وقعت بينه وبين قريش حين قرر وصحبه القدوم الى مكة من أجل أداء العمرة ، أو ما يعرف عادة باسم « صلح الحديبية » . وبالرغم من اننا لا نريد لهذا البحث أن يدخل في متاهة التفاصيل التي لا علاقة لها بموضوع الوفود والسفارات ، فان الدور الذي لعبته الوفود مـن الجانبين : المسلم والقرشي ، كان له الفضل الاول في تحقيق هذا الصلح . فقد جزعت قريش حين عرفت بقدوم الرسول وصحبه لاداء العمرة ، وقررت منعه من تحقيق هدفه وحين نزل بالحديبية أرسلت اليه رسلها لاقناعه بالعدول عن دخول مكـة ، ولبيان الاخطار التي تنتظره اذا ما أصر على موقفه . وكان على رأس الوفد القرشي عروة بن مسعود الثقفي الذي عاد ليخبر قريشا باصرار الرسول على تنفيذ ما جاء من أجله . ورأي الرسول من ناحيته أن يفاوض قريشا وأن يرسل لها وفدا يفصح لها عن أهداف زيارته وطابعها السلمي والديني . وانتدب لهذه المهمة عثمان بن عفان لمكانته في قريش وقرابته من أبي سفيان . وفي هذا الانتقاء دليل على حنكة الرسول فقد اختار المبعوث المناسب للمهمة والجهة المناسبة . وقد طلب الرسول الكريم الى عثمان رضي الله عنه أن يقول لقريش : انا لم نأت لقتال أحد وانما جئنا زوارا لهـذا البيت معظمين لحرمته ومعنا الهدي ننحره وننصرف.ووصل عثمان الى مكة فرحب به وأجاره أبان بن سعيد بن العاص ، وأبلغ الرسالـة الى رؤوس قريشـ ، ولكنهـم استمروا في عنادهم ورفضوا السماح للمسلمين بدخول مكة . ومضت على غيبة عثمان في مكة ثلاثة ايام لم يسمع المسلمون خلالها خبرا عنه ، وذاع بينهم انه قتل مـعشرة من المسلمين كان الرسول قد سمح لهم بالتوجه الى مكة لزيارة أهلهم فيها . فطلب الرسول من صحبه أن يبايعوه على محاربة قريش أخذا بثأر موفده . ورأت قريش أن المسلمين يعسكرون على مقربة من أرضها وان حربهم لن تكون سهلة ولا يسـيرة ، فآثرت

أن تفاوضهم ، لذا أرسلت وفدا برئاسة سهيل بن عمـرو ليفاوض الرسول وينهي الازمة دون اللجوء الى قتال . فكان طلب الرسول الاول عودة عثمان وصحبه مـن المسلمين ، فوافق سهيل وأرسل من قبله رسولا الى قريش يطلب منها اطلاق سراح عثمان ومن معه من المسلمين ، فوافقت قريش على ذلك فورا وأرسلت عثمان وصحبه الى الرسول . وعاد سهيل الى مكة ليستطلع رأي قومه في الشروط التي يطلبونها من الرسول . فأشار عليه أهل الرأي منهم بالصلح على ان يرجع الرسول عنهم عامه هذا ويعود في العام المقبل . وعاد سهيل الى الرسول بعرض قريش واتفق الطرفان على صلح تنص بنوده على بعض الشروط التي لا نرى ضرورة لذكرها في هذا المقام. ولكن من المهم أن نذكر ان اسلوب التفاوض عن طريق الوفود قد اعتمد بشكل رسمي من قبل الطرفين المتخاصمين في هذه الفترة من تاريخ الامة العربية ، واعتبر وسيلة ناجعـة لجعل الاطراف المختلفة تصل الى حلول لبعض المشاكل التي تطرح نفسها والتي اذا لم يعتمد التفاوض أسلوبا لحلها لكانت الحرب هي البديل الوحيد .

ولا بد من الاشارة هنا الى أن الرسل والوفود كانت في هذه الفترة لا تقتصر على المجالات الداخلية فقط ، بل كانت وفود الرسول تسافر الى الخارج ولا سيما الى الحبشة ، فقد أرسل صلوات الله عليه عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي يطلب اليه ان يعيد من قبله من المسلمين فأرسلهم النجاشي على مركبين ، وكانوا ستة عشر رجلا ومعهم من بقي من نسائهم وأولادهم .

وفي ختام هذه الفقرة من بحثنا لا بد من الاشارة الى ما تعارف المؤرخون على تسميته ب « عام الوفود » ، وهو العام التاسع للهجرة الذي تقاطر فيه على الرسول رجالات القبائل العربية مبايعين على الاسلام والطاعة ، بعد ان فتحت مكة ودخلت قريش في الاسلام وثبت لسائر العرب ان المسلمين قوة سياسية وحربية ، الى جانب العقيدة الجديدة التي تنزلت على قلب النبي العظيم ، وكان وفد ثقيف أسبق الوفود في القدوم على الرسول وكان لقدومه وقبوله الاسلام وشروط الرسول عليه مغزى خاص ، اذ أنه باسلام ثقيف غدت الحجاز كلها تدين بالدين الجديد . كما أخـذت القبائل الاخرى التي كانت لا تزال على الشرك تحذو حذو ثقيف وترسل بعوثا منها الى المدينة لتعلن انضواءها تحت راية الاسلام ومبايعة رسول الله . ولن نذكر أسماء هذه الوفود ورجالاتها فهي كثيرة وتشمل معظم القبائل العربية ، ولكن لن يفوتنا أن نشير الى أنه كان بين هذه الوفود وفد أرسله ملوك حمـير يعلم الرسـول الكريـم باسلامهم ، فقبل الرسول اسلامهم وأرسل اليهم كتابا يعلمهم فيه فرائض الاسـلام وما يترتب عليهم من أخماس وصدقات وواجبات حيال رعاياهم من أهل الذمة . كما أرسل اليهم وفدا مسلما برئاسة معاذ بن جبل ليعلمهم الاسلام ويفقههم بالدين . وكان فروة بن عمرو الجذامي ، عامل الروم على من يليهم من العرب ، من بين الامراء الذين

أرسلوا الى الرسول من يعلمه باسلامهم . وكان منزل فروة معان وما حولها من أرض الشام . وقد أرسل مع رسله بغلة بيضاء كهدية للنبي . فقبل النبي عليه السلام اسلام فروة وهديته . ولما بلغ الروم اسلام عاملهم غضبوا لذلك وطلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم ضربوا عنقه على ماء بفلسطين يقال له عفراء .

وبعد ، فيظل الحديث عن الوفود والسفارات في عصر الرسول(ص) ناقصاً اذا لم نتعرض الى أهم عنصر فيه وهو موضوع كتب الرسول الى الملوك والامراء يدعوهم الى الاسلام .

فمن المعلوم أن في الاية الكريمة التي تخاطب الرسول قائلة : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، وفي قوله عز وجل : « ان هو الا ذكر للعالمين » ، دعوة صريحة الى عالمية الدعوة ، وتوجيه واضح للرسول الكريم لينقل الدعوة من اطار الجزيرة العربية الضيق الى آفاق الارض الرحبة حيث يجب ان تخفق راية الاسلام ، كما خفقت في سماء الجزيرة ، وحيث يجب ان تعلو كلمة الحق فينتقل الناس كافة من الضلالة الى الهدى . ونحن في بحثنا عن « الوفود والسفارات في عصر الرسول » لا بد أن نتوقف عند الجهود التي بذلها صلوات الله عليه في سبيل تحقيق هدف عالمية الدعوة عن طريق ما أرسله من وفود وسفارات الى ملوك وأمراء الارض ليدعوهم بدعوة الاسلام ، ويحضهم على ترك ما هم فيه من ضلالة وكفر . وقد أوجبت علينا طبيعة المعلومات التي ترد في بعض المصادر الاولية والحديثة حول هذا الموضوع ان نسلك في معالجته سبيل نقد الخبر وعرضه على ما يفرضه منهج البحث التاريخي من معايير كي نستخلص الصورة الحقيقية لما جرى . لان في بعض ما بين أيدينا من أخبار شيئا من عدم دقة يضطر معه الباحث المدقق الى اعمال النظرة الموضوعية المتفحصة لاستبعاد ما لا يمكن قبوله وتقويم ما يمكن ان يكون قد وقع من خطأ . ولا بد لي من أن استميح القارىء العذر لما أقحمه فيه من دوامة نقد الروايات والاخبار ، ولكنها مناسبة أردتها ألا تفوت دون أن يعطى هذا الموضوع الهام ما هو أهل له من عناية وتمحيص .

تذكر المصادر (كابن سعد وابن هشام والطبري وابن حبيب وغيرهم) ان الرسول بعد انصرافه من الحديبية أرسل ستة من أصحابه الى ملوك الدول المجاورة وأمرائها ليدعوهم بدعوة الاسلام . وقد حمل هؤلاء الرجال كتبا ممهورة بخاتم الرسول . وعادوا بأجوبة عليها ، بعضها فيه قبول لهذه الدعوة وبعضها فيه رفض لها . ويفرد ابن سعد فصلا خاصا في « طبقاته » لهذا الامر يقول فيه : « .. قالوا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست ، أرسل الرسل الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، وكتب اليهم كتبا ، فقيل يا رسول الله ، ان الملوك

لا يقرؤون كتابا الا مختوما ، فاتخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يومئذ خاتما من فضة ، فصه منه ، نقشه ثلاثة أسطر : محمد رسول الله ، وختم به الكتب ، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، وذلك في المحرم سنة سبع ، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القـوم الذين بعثـه اليهم . فكان أول رسـول بعثـه صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي وكتب اليه كتابين يدعوه في أحدهما الىالاسلام، ويتلو عليه القرآن ، فأخذ (أي النجاشي) كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعه على عينيه ، ونزل من سريره فجلس على الارض تواضعا ، ثم أسلم وشـهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته ، وكتب الى رسول الله ، صلى اللهعليه وسلم ، باجابته وتصديقه واسلامه على يدي جعفر بن ابي طالب . وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت قد هاجـرت الى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي فتنصر هناك ومات ، وأمـره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الكتاب أن يبعث اليه بمن قبله من أصحابه ففعل وزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وأصدق عنه أربعمائة دينار ، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم ، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري .. وبعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، دحية بن خليفة الكلبي وهو أحد الستة ، الى قيصر يدعوه الى الاسلام وكتب معه كتابا وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى ليدفعه الى قيصر ، فدفعه الى عظيم بصرى وهو يومئذ بحمص ، وقيصر يومئذ ماش في نذر كان عليه : إن ظهرت الروم على فارس أن يمشي حافيا من قسطنطينية الى ايلياء ، فقـرأ الكتاب وأذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم ؟ قال الروم : وما ذاك أيها الملك؟ قال : تتبعون هذا النبي العربي ، قال : فحاصوا حيصة حمـر الوحشـس وتناجزوا ورفعوا الصليب ، فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من اسلامهم وخافهم على نفسه، وملكه ،فسكنهم ثم قال: انما قلت لكم ما قلت أختبركم لأنظر كيف صلابتكم من دينكم الذي أحب،فسجدوا له. قالوا : وبعث رسولالله صلىالله عليهوسلم ،عبد الله بنحذافة السهمي ، وهو أحد الستة ، الى كسرى يدعوه الى الاسلام ، وكتب معه كتابا ، قال عبد الله : فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرئ عليه ، ثـم أخذه فمزقه ، فلما بلغ ذلك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، قال : اللهم مـزق ملكه ، وكتب كسرى الى بازان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين الى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره (وأرسل باذان الرجلين وقابلا الرسـول فتنبأ لهما بمقتل كسرى من قبل ابنه شيرويه) فرجعا الى باذان فاسلم هو والابناءالذين باليمن . قالوا : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وهو أحد الستة ، الى المقوقس صاحب الاسكندرية عظيم القبط يدعوه الى الاسلام وكتب معه كتابا ، فأوصل اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقراه وقال لـه

خيرا ... وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم : لقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها ، ولم يزد على هذا ولم يسلم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته ، وأخذ الجاريتين مارية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأختها سيرين ، وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها وهي دلدل ... قالوا : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شجاع بن وهب الاسدي ، وهو أحد الستة الى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه الى الاسلام ، وكتب معه كتابا ، قال شجاع : فأتيت اليه ، وهو بغوطة دمشق ، وهو مشغول بتهيئة الانزال والالطاف لقيصر ، وهو جاء من حمص الى ايلياء ... فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأه ، ثم رمى به وقال : من ينتزع مني ملكي ؟ أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته ، علي بالناس ، فلم يزل يفرض حتى قام ، وأمر بالخيل تنعل ، ثم قال : أخبر صاحبك ما ترى . وكتب الى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه . فكتب اليه قيصر : ألا تسير اليه واله عنه ووافني بايلياء ، فلما جاءه جواب كتابه ، دعاني فقال : متى تريد أن تخرج الى صاحبك (فقلت : غدا ، فأمر لي بمائة مثقال ذهب .. فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : باد ملكه ! ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح ... وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سليط بن عمرو العامري ، وهو أحد الستة ، الى هوذة بن علي الحنفي يدعوه الى الاسلام وكتب معه كتابا ، فقدم عليه وأنزله وحباه ، وقرأ كتاب النبي ، صلى الله عيله وسلم ، (وطلب هوذة في كتاب أرسله الى النبي أن يشاركه في الامر حتى يؤمن به ، ولما وصل كتاب هوذة الى النبي قال تعليقا على هذا الطلب) : لو سألني سيابة من الارض ما فعلت ، باد وباد ما في يديه ! فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات .

هذا هو نص ابن سعد ، وقد أوردناه كاملا لأنه في رأينا ، يحتاج الى وقفة نناقش فيها ما يورد من معلومات لا يستقيم بعضها أمام النقد التاريخي والمقارنة مع المصادر الاخرى .

ان أول ما يستدعي الانتباه في نص ابن سعد هو التاريخ الذي يحدده لانطلاق رسل الرسول الى الملوك والامراء ، فهذا التاريخ عنده هو بعد صلح الحديبية ، أو بشكل أدق هو المحرم من سنة سبع للهجرة حين خرج ستة منهم في يوم واحد ، على حد زعم ابن سعد . ان نظرة بسيطة الى وضع الرسول والجماعة الاسلامية بعد صلح الحديبية تجعلنا ندرك بما لا يقبل الشك أنه كان على الاسلام والمسلمين في هذا الوقت المبكر أن يقفوا في وجه الاخطار والتحديات التي تمثلها قريش وغيرها من قبائل الحجاز ونجد التي لم تكن قد انضوت تحت لواء الاسلام بعد ، والتي كانت لا تزال على جانب

من القوة لا يستطيع المسلمون الاستهانة به . واذا أضفنا الى هذا أن مدن الحجـاز الكبرى نفسها كمكة والطائف كانتلا تزال تناصب الرسول العداء ولم تخضع لسلطانه، لوجدنا أن المنطق يفترض ألا يتطلع الرسول الى نشر دين الله خارجالجزيرة وأن يعرضه على امبراطوريات عظمى كفارس وبيزنطة ، في حين أن أقرب مدن الحجاز اليه كانت لا تزال على الشرك وتسعى بمختلف الوسائل والسبل ، بمـا ذلك الحرب ، للقضـاء عليه وعلى دينــه .

واذا تركنا ما يمليه المنطق جانبا ، وتمسكنا بحرفية النصوص وما جاء في مصادر الاخبار المختلفة ، لوجدنا أن نص ابن سعد لا يستقيم أمام الفحص الدقيق الناقد لما جاء من أخبار . ولنأخذ أولا ما يذكره هذا المؤلف عن بعث الرسول لدحية بن خليفة الكلبي الى أمير بصرى ومعه كتاب الى قيصر ، ان بعثة دحية هذه سابقة على صـلح الحديبية دونما شك ، لا تالية لها ، كما يدعي ابن سعد ، وقد حدثت بشكل أدق في السنة السادسة للهجرة ، على ما يذكره هو نفسه ، لا أي شخص آخر فقد جـاء في موضع لاحق من « طبقاته » أن دحية تعرض ، وهو في طريق عودته الى المدينة من عند قيصر الى هجوم شنته عليه جماعة من جذام وسلبته ما كان يحمل من هدايا وكسوة حمله اياها قيصر . وقد أخبر دحية الرسول بما جرى له ، فجهز سرية مؤلفة مـن خمسمائة رجل على رأسهم زيد بن حارثة وأرسلهم الى حسمى لتأديب الجذاميين وذلك في جمادى الآخرة من سنة ست للهجرة . وقد قامت سرية زيد بهذه المهمة خير قيام وعادت بأسلاب كبيرة وأسرى لا يقلون عن المائة (انظر ابن سعد ط. بيروت ، ج٢ ، ص ٨٨) . وهكذا ، فان دحية الذي يذكر ابن سعد انه كان أحد الستة الذين انطلقوا بعد الحديبية حاملين كتب الرسول خرج قبل الحديبية التي لم تحدث حتى ذي القعدة من السنة نفسها ، لا بعدها كما يدعي .

واذا تركنا أمر دحيةجانبا، وانتقلنا الى ما يذكره النصعن الرسول الذيأرسله النبي الىالمقوقس وعودة الرسول الى المدينة ومعه هدايا المقوقس التي كان من بينهـا مارية وسيرين ، لوجدنا أن الامـر لا يستقيم أيضا والتاريخ الذي حدده ابن سـعد لارساله ، وهو ما بعد الحديبية ، أو المحرم من سنة سبع . اذ أن ابن اسحق يذكر أن الرسول أعطى سيرين الى حسان بن ثابت كترضية له وتعويض عن الضربـة التي ضربه اياها صفوان بن المعطل ابان الازمة التي تعرف باسم « حديث الافك » ومعروف أن حسان كان من الذين هجوا صفوان وتقولوا عليه الاقاويل ، فثارت ثائرة صـفوان لهذا وضرب حسان ضربة كادت تميته . وقد عوض الرسول على حسان وأهـداه سيرين كترضية له عما أصابه . وحديث الافك هذا كان أحد نتائج غزوة بن المصطلق التي حدثت في شعبان من سنة ست للهجرة . وما دام الرسول قد أهدى سـيرين لحسان في شعبان من السنة السادسة أو الشهر التالي له ، فلا يمكن أن يسـتقيم

التاريخ الذي يحدده ابن سعد (المحرم من سنة سبع) كموعد انطلاق حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس وعودته بهداياه التي كانت سيرين احداها .

واذا كان نص ابن سعد خاطئا بالنسبة للتواريخ التي يحددها كموعد لانطلاق دحية بن خليفة الكلبي وحاطب بن أبي بلتعة مبعوثي الرسول الى قيصر والمقوقس فان ما يرد فيه من حديث عن بعث الرسول لشجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني يستثير أعنف نوازع النقد في نفس المؤرخ . وسبب ذلك أن الاخباريين العرب غير متفقين على أسماء الملوك الغساسنة الذين حكموا بدءا من سنة ٥٠٠ م ، ولكن قائمة نولدكه ، وهي المعتمدة عند أغلب الباحثين ، تجعل من أبي شمر جبلة أول ملوك الغساسنة بعد المنذر بن الحارث . وقد تلا أبا شمر هذا ابنه الحارث بن جبلة الذي حكم بين ٥٢٩ ـ ٥٦٩م . والحارث بن جبلة هو الحارث بن أبي شمر نفسه ، كما يظهر من اسم أبيه ، وكما يؤكد حمزة الاصفهاني في تاريخه . فهل يعقل أن يرسل الرسول مبعوثا ورسالة دعوة الى الاسلام الى ملك مات قبل ولادته بما لا يقل عن عام أو عامين ؟ ويؤيد نقدنا هذا ما يرد في بعض المصادر الاخرى من معلومات حول هذا الموضوع فالطبري ، مثلا ، يذكر أن الرسول أرسل شجاعا الى المنذر بن الحارث بن أبي شمر ، لا الى الحارث . وهذا أيضا غير مقبول في رأينا لأن المنذر هذا حكم بين سنتي ٥٦٩ ـ ٥٨٢ ، أي أنه توفي والرسول لا يزال صبيا في حوالي العاشرة من عمره . وعندنا أن ما يذكره ابن حبيب من أن شجاعا حمل رسالة الرسول الى جبلة بن الايهم الغساني ، هو الاصدق والاصح ، لان جبلة هو آخر من حكم من ملوك الغساسنة وتتناسب فترة ملكه مع قيام الدعوة الى الاسلام . وقد أسلم هو نفسه ، ثم ما لبث أن تنصر بعد حادثته المعروفة مع عمر بن الخطاب .

بعد هذه الملاحظات على ما ورد في نص ابن سعد ، لا بد لنا من أن نقرر أن ارسال الرسول لبعوث وموفدين للملوك والامراء داخل الجزيرة وخارجها ، هو حقيقة واقعة تؤيدها كل المصادر والقرائن والدلالات ، وتحتمها طبيعة الدعوة ، وما لها من صفة العمومية والشمول ، بحيث لا يمكن أن تقتصر الدعوة الى هذا الدين على قوم دون قوم . على أن الذي لا بد من ملاحظته بمناسبة ما يرد حول هذا الموضوع عند ابن سعد وغيره من المؤرخين القدماء والمحدثين ، هو أن تداخل الروايات واختلاط الاحداث بسبب التواتر الشفهي ، قد أدت كلها الى صورة مشوهة لما جرى ينقصها الضبط ويتداخل فيها حادث بحادث أو موضوع بموضوع ، لا سيما اذا كان الحادثان متقاربين من حيث الموضوع أو تتشابه فيهما بعض التفاصيل . وخير مثال على هذا التداخل واختلاط الروايات يمكننا أن نورده فيما يذكره لنا ابن سعد في النص الذي نقلناه في مطلع بحثنا هذا ، عن موفد الرسول الى نجاشي الحبشة . فقد اختلط عند ابن سعد مناسبات عدة كانت فيها بين الرسول والنجاشي مكاتبات ووفود ، فجمع في مناسبة

واحدة ثلاث مهام هي : دعوة النجاشي الى الاسلام ، وتزويجه بأم حبيبة ، والطلب الى النجاشي تجهيز من قبله من المسلمين واعادتهم مع موفده عمرو بن أمية الضمري ، وبديهي ألا يطلب الرسول من النجاشي تزويجه من أم حبيبة واصداقها عنه في وقت يطلب اليه فيه اعادة من قبله من المسلمين ولكان أجل زواجه منها حتى ما بعد عودتها مـع من بقـي من المسلمين في الحبشة . كمـا أن ما يذكره من اسلام النجاشي أمـر غير مقطوع بصحته ولا نجد دليلا عليه في المصادر التي تدرس الموضوع بجد واهتمام .

والى جانب هؤلاء الستة الذين يذكرهم ابن سعد ، هناك موفدون آخرون تذكر المصادر أسمائهم والمهام التي اوكلت اليهم ، فمن بين موفدي الرسول، غير هؤلاء الستة يذكر ابن سعد عمرو بن العاص الذي بعثه الرسول سنة ثمان للهجرة الى جيفر وعبد ابني الجلندى وهما سيدا قبائل الأزد النازلة في عمان يدعوهما الى الاسلام . وقـد قبلا دعوة الرسول ودفعا لموفده الصدقة ، فوزعها بين فقرائهم . كما ارسل الرسول بعد منصرفه من الجعرانة ، العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ســاوي العبدي ســيد البحرين يدعوه بدعوة الاسلام . فكتب المنذر الى الرسول يخبره باسلامه وتصديقه واسلام بعض من أصحابه ، وبقاء آخرين منهم على اليهودية أو المجوسية . فأجابــه الرسول بأخذ الجزية ممن بقي على هذين الدينين . كما كتب الى أهل اليمن كتابـا يخبرهم فيه بشرائع الاسلام وفرائض الصدقة في المواشي والاموال ويوصيهم بأصحابه ورسله خيرا . وكان رسولاه اليهم معاذ بن جبـل ومالك بن مرارة ، وأمرهما بجمـع الصدقات والجزية . وكان مالك هذا رسول أهل اليمن الى النبـي يعلمونه اسلامهم وطاعتهم ، فرده الرسول مع معاذ الى قومه وعهد اليه مـع صاحبـه بأمر الصدقات والجزية ، كما أسلفنا . ولم يكن معاذ ومالك موفدي الرسول الوحيدين الى اليمن، بل هناك عدد آخر منهم الى أمراء مقاطعات اليمن المختلفة تذكرهم المصادر وتعـين الجهة التي ارسلوا اليها . كما أن المصادر تتحدث عن رسله الى بعض قبائـل كندة وحضرموت ولخم والازد وبني الحـارث وبني فهـد وبني طي وبني ســعد هذيـم وبني زرعة وبني اسلم من خزاعة وبني جهينة ومسيلمة الكذاب وبني غفار وصاحب هجر وأهلها وبني بكر بن وائل وبني عبد القيس وخثعم وكثير غيرها .

وهناك عدد من الكتب تذكر المصادر انه وجهها الى بعض الاساقفة النصــارى وبعض الزعماء النصارى واليهود . ككتابه الى ضغاطر الاسقف وكتبه الى بني جنبة وهم جماعة من اليهود كانت تقيم بمقنا (مقنا موقع قرب أيلة) ، وكتبه الى يحنة بن رؤبة وسروات أهل أيلة ، والاكيدر زعيم دومة الجندل النصراني ، وبني غاديا اليهود، ويهود جربا وأذرح وغيرها . وتتضمن هذه الكتب اعترافا من الرسول لهـم بحكم ما تحت أيديهم من أراض وبلاد مقابل اعلان خضوعهم له ودفع ما يترتب عليهم مـن جزية أو زكاة (لمن اسلم) .

والى جانب هذا الفريق الذي باداه الرسول بالكتابة والدعوة الى الاسلام عن طريق الوفود والمبعوثين ، هناك فئة من الملوك والافراد أخذت هي بزمام المبادرة ، وكاتبت الرسول معلنة اسلامها وخضوعها قبل أن يبادئها الرسول بذلك . ومن بين هذه الفئة الثانية فروة بن عمرو الجذامي الذي كان عامل الروم على عمان من أرض البلقاء ، أو على معان ، وقد بلغت فروة أخبار الرسول ومعلومات عن الدين الذي يدعو اليه ، فأسلم وكتب اليه يخبره بذلك ، وبعث اليه بهدايا كثيرة ، كان من بينها بغلة بيضاء وفرس وحمار وأثواب لين وقباء سندس مخوص بالذهب . وقد بلغ ملك الروم اسلام فورة ، فطلب اليه العودة عن الاسلام ، فحبسه وقتله وصلبه .

وهكذا فقد استعمل الرسول أسلوب الوفود والسفارات في اخريات حياته ، واعتمده وسيلة لتحقيق نشر الدعوة خارج حدود الجزيرة العربية وداخلها ، واعتمده وسيلة لتحقيق نشر الدعوة خارج حدود الجزيرة العربية وداخلها ، على أن السبيل السلمي ، لم يكن ناجحا دوما ، واضطر الرسول في سبيل تحقيق شعار عمومية الدعوة أن يلجأ للقتال ، فكان أن أمر بتجهيز جيش أسامة بن زيد لغزو أطرف الشام الجنوبية، ولكن بعث زيد لن يتاح له أن ينطلق الا في خلافة أبي بكر ، كما هو معلوم ، اذ أن المنية عاجلته صلوات الله عليه ، وانتقل الى الرفيق الاعلى ليسلم الراية الى أصحابه البررة، الذين حملوا الامانة بكل صدق واخلاص .

وقد يكون لنا مع الوفودوالسفارات في الفترات التالية وقفة أخرى ان شاء الله .

